٢٠١٩

التواصل الاجتماعي وواقعنا المعيشي

أ.د. عدنان بدران

اليوم العلمي لكلية الآداب

بعنوان:
وسائل التواصل الاجتماعي والواقع المعيش

الجامعة الأردنية
٢٠١٩/٠٣/٢٨

التواصل الاجتماعي وواقعنا المعيشي

أ.د. عدنان بدران

يشكل التواصل الاجتماعي حلقة هامه من تواصل الأفراد من أصدقاء ومعارف وتأطير أواصر التماسك للنسيج الاجتماعي. تاريخياً كانت أواصر التواصل الاجتماعي تحتل زيارات أهل الحي لتنظيم اللقاءات في **"ديوانية"** الحي، أو في لقاءات الأندية أو صلاة الجمعة، ثم تطور التواصل الاجتماعي في الاعلام المرئي والمسموع والمقروء، فأصبح أفراد المجتمع على علم بما يجري في مجتمعاتهم من سياسة واقتصاد واجتماع وثقافة وفنون، إلا أنه مع امتداد الفضاء الافتراضي والانترنت ونماذج حديثة من التواصل الكتروني، برزت بين الشباب والجماهير برامج حاسوبية للتواصل الاجتماعي عبر **الواتساب، والفيسبوك، والتويتر، والانستجرام، والسكايب**، وغيرها. بالطبع هناك أخبارٌ غير صحيحة تبثها أحياناً وسائلُ الاتصال الاجتماعي، ولكن مع مرور الوقت سيكتشف الجمهورُ **الأخبارَ الصحيحة من الأخبارِ الطالحةِ والاشاعاتِ الكاذبة**، وستختفي المواقعُ غيرَ الدقيقة، وتتوسعُ وتنضجُ المواقعَ التي تتحلى بالأخبارِ الدقيقة. وهذه طبيعةُ الأشياء مع تطور المعلومات وتطور الإنسان.

إن من أهمَّ **عواملِ التواصلِ الاجتماعي** بأنها أتاحت الفرصة، لأي فرد في المشاركة وصناعة الإعلام للأفراد ومؤسسات للبرامج الإذاعية والتلفزيونية، ولم تبقَ الصناعةُ

محتكرةَ للسلطة أو لمؤسسات رخَصَّتها السلطةُ، مما دفعَ **بحريةِ التعبير وحرية التفكير وحرية بيان الرأي والتعبير والاختلاف** على المعهود، إلى **مساحاتٍ فكريةٍ واسعة** بلا حدود، يناقشُ المشاركون جهراً مما يعتقدونَ حول أيِّ شأنٍ سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي، وبذلك اصبحَ المواطنُ صحفياً يراسلُ المؤسسات الإعلامية عبرَ شبكاتِ التواصل **للإعلان عن حدث بالقرب منه، خلالِ دقائقَ من حدوثِه**، مما رسخَّ **أساليبَ** المشاركةِ **والمساءلة والشفافية** للديمقراطية بأن تنمو في مؤسساتِ الدولة للامتثال لآمالِ وتطلعاتِ الجماهير، في إعلام جماهيريٍّ غيرَ مسبوق، يسايُر تطورَ تكنولوجيا الاتصال وانتقالَ المعلومات وفلترتَها من قبلِ المتلقين. ومما لا شك فيه بأن استخدامَ الفضاءِ الافتراضي في الاعلامِ والتواصلِ الاجتماعي، معظمُه بين الشباب الذين **يعزفونَ** على متابعةِ الأخبار في الصحف والإذاعةِ المقروءة والمسموعة، والمرئية في التلفزيون، ويلجأوونَ لاستخدامِ **هواتفهم النقالة الذكية** في الوصولِ إلى المعلومات، وتخزينها.

وتدلُ **الاحصائياتُ الإعلامية** بأن ٧٥% من الأشخاص يحصلون على معلوماتهم من **البريد الالكتروني** أو عبر **وسائل الاتصال الاجتماعي**. ويشكو البعضُ بأن تعرضَ أطفالِهم لسلبيات التواصلِ الاجتماعي من تناولِ الكحول أو التبغ والسلوكيات الجنسية والانفرادية والوحدة والانعزالِ عن مشاركة الآخرين وجهاً لوجه، قد يسببُ التوترَ والقلقَ والخوفَ والعزلةَ لدى الشباب. إلا أن هناك مدافعونَ عن الشبكاتِ الاجتماعية، بأنها

الشبكات التي وفرتْ منصاتٍ سياسية واجتماعية لمناقشةِ سياساتِ الدولة، وتأجيجِ الجماهير ضدِ سياساتٍ ظالمة وتنظيمِ احتجاجاتٍ ضدها، كما ظهرَ ذلك جلياً في **الربيع العربي المصري عام ٢٠١١** في ميدان التحرير، وهذا يشكلُ وجهاً حضارياً لممارسة **الديمقراطية** ضد **السلطة الدكتاتورية**.

أما بالنسبةِ **للتعليم** وخاصةً **التعلمَ الالكتروني** أو **التعلمَ عن بعد** أو **التعلمَ المدمج** باستخدام جميع وسائط التعليم، تشكل شبكةُ التواصل الاجتماعي عبرَ الانترنت وسيلة فعالة في التوسع في فضاءِ التعليم والتعلم وزيادةَ زخمِه، وتنميةَ مهاراتِ التفكير لمادتِهِ عبر الشبكة، وتواصلَ الاستاذِ مع طلبته حول المهاراتِ المعرفية لمادته.

كما أنَّ **شبكاتِ التواصل** من **تويتر، والفيسبوك، والانستجرام،** هي وسائل للتواصل تعزز تنمية مهارات التفكير وخاصةً الفكر النقدي، وبناء ملّكةِ التساؤل، والاستقصاءِ والتحليلِ والاستنتاج، واستخدام الطريقة العلمية للوصول إلى الحقيقة. كما أن **الواتساب** تشكل شبكة اجتماعية قد يستخدمها الصفُ في المدرسة أو الجامعة في مشاركة حلقة طلابية للمناقشة خارج الصف، للتعبير عن المفاهيم الرئيسة لمحاضرة الأستاذ أو للمادة الدراسية، مما سيسهم حقاً في التوسع في الفضاء التعليمي **لتعليم التفكير** الذي يقود إلى **الابداع والابتكار، وبناء ملكةِ البحثِ العلمي** في دماغ الطالبِ للتحليلِ والاستقصاءِ والاختراعِ وبناءِ منظومة الدماغ المعرفية.

تاريخُ البشرية في هذا الكون، يشيرُ إلى نزعةِ الانسانِ في التواصلِ، ومنذ ولادته التواصل أولاً مع الأبوين، وذوي القربي والآخرين، للتعبير عن أفكارهِ ورغباتِه والتفاهمِ مع محيطِه. لذا مرَّ الانسانُ منذ نشوئِه في ثوراتِ الاتصالِ عبرَ وجودهِ التي أثرت على فكره الإنساني وتنظيم مجتمعاته وبناء حضارته من عصور الصيد، إلى الانتقال للرعي والترحال، ثم إلى عصور الزراعةِ ثم الانتقال إلى عصورِ الصناعة، ثم عصر المعلوماتِ والمعرفة، وحالياً ينتقل الانسان إلى عصرِ الذكاءِ الاصطناعي.

ثورةُ الاتصالِ الأولى كانت حوالي ٤,٠٠٠ سنة قبل الميلاد في بناء اللغة البدائية، والتعبيرِ بالكلام، فظهرت آلافُ اللغاتِ لقومياتٍ وأجناسٍ مختلفة. لذا تُعتبرُ هذه الفترةُ من ثورة الاتصال **بثورةِ اللغة**.

أما **الثورةُ الثانية للاتصال** فكانت ثورةُ السومريين لتقديمِ أقدمِ كتابةٍ على الطين وذلك سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد.

والثورة الثالثة للاتصال كانت **بظهور الطباعة** في منتصف القرن الخامس عشر على يد **يوحنا جوتنبرغ ١٤٥٠ بعد الميلاد**.

والثورةُ الرابعة للاتصال كانت في منتصف القرن التاسع عشر استجابةً للثورة الصناعية ونتيجةِ **اكتشافِ الموجات الكهرومغناطيسية والتغراف والتلفون، وبعدَها الراديو**

والسينما والتلفزيون. مما أدى إلى تحطيمِ الحواجز الجغرافية ونقلِ الأحداث والأخبار من مكان لآخر.

والثورةُ الخامسة للاتصال بدأتْ في النصف الثاني من القرن العشرين وتمثلت **في ظهور الحاسوب الآلي** لاستخدام وتخزين انتاج الفكر البشري، والأقمار الصناعية والانترنت والموبايل.

أما **ثورةُ الاتصال السادسة** فكانت في **شبكةِ المعلومات ولانتقال المعلومة** والحدث وانتشارهما خلال دقائق في العالم، وتمثل شبكةُ الانترنت **وهي شبكةُ الشبكات والعمود الفقري لشبكات المعلومات** عبرَ العالم لقدرتِها على نقلِ **الصوتِ والصورة** مع تعليقات المختصين من مراسلين عن الحدث، أسبابُه وتداعياته وإجراءاته.

لذا يشكلُ **الاتصالُ العمليةَ** التي يتم خلالَها نقلُ وتوصيلِ وتبادلِ الأفكارِ والمعلومات وتحليليها وتقديم استنتاجاتها لتكوين الاتجاهات والرأي وربما اتخاذ القرارات.

لذا **فالاتصالُ** هو **القناةُ الرئيسة لفهم الآخرين**، وربما **التعلمُ في العيش مع الآخرين**، وهي التي تربطنا مع الإنسانية، لنكونَ مع المعرفةِ الإنسانية وتطورِها والتجاوبِ معها وتشكيلِ عالمٍ إنسانيٍ يشدُّ بعضُه بعضاً.

والتواصلُ الاجتماعي يشارك مؤسساتٍ إعلامية وصحفية وأفرادٍ يشكلون منصات إعلامية وحزمةٍ من الشبكات الاجتماعية التي إذا أُحسنَ استعمالُها ستكونُ الأداةُ والوسيلةُ في بناء مجتمع إنسانِّي يقومُ على العدالةِ والمساواةِ وتكافؤِ الفرص وينخرطُ في مشاركة سياسية واقتصادية واجتماعية، وصولاً إلى الديمقراطية.

أما إذا **أُسيءَ** استخدامُها، ستؤدي حتماً إلى **كارثة كرايست تشيرش** في **نيوزيلاندا** في **قتل أبرياءٍ** لمعتقداتهم **الدينية** أو **المذهبية** وتمتد إلى **القومية** أو **السياسية** أو **الأثنية**.

لذا وباختصارٍ شديد، قد تشكلُ شبكاتِ الاتصال والتواصل الاجتماعي **حقلاً تنويرياً** يؤدي إلى **سعادة ورفاهية الإنسانية**، وقد **تشكل أيضاً حقلاً تدميرياً** في تحويل الاختلاف إلى خلاف، مما سيؤدي إلى **إثارة التطرف والشغب، والفتنة والقتل والحروب والدمار**.